البعث وأدلته العقلية

في القرآن الكريم

-دراسة عقدية-

إعـداد الباحثة

هنـد بـنـت دخيـل الله بن وصل الـقـثـامي

قسم العقيدة

كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – مكة المكرمة

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه، أما بـــعـــد:

فإن أشرف العلوم ما كان متصلاً بالبحث في العقيدة، وشرف العلم من شرف موضوعه، والبعث من الأمور التي ترتبط بمسائل اليوم الآخر، والجزاء والحساب، والإيمان به واجب لا يقبل الله تعالى إيمان العبد ما لم يأتِ به، ولذلك كانت النصوص من الكتاب والسنة مستفيضة في إثبات عقيدة البعث، وبيان أهميته، وتكفير منكره، ممن استبعد حدوثه، يقول تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾[ق:١-٣].

فجاءت مؤكدة على هذه المسألة، مشددة النكير على مستبعدها ومنكرها، فنرى القرآن الكريم يورد شبهاتهم ويرد عليها ولما كانت هذه الشبهات تتعلق بأمر غيبي وهو استبعاد حصول بعث الأجساد مرة أخرى بعد أن فنيت وصارت عظاماً ورفاتاً، لذا

فإن القرآن الكريم ردَّ على هؤلاء أمر استبعادهم البعث، وضرب لهم أمثلة عقلية على إمكان البعث ووقوعه، مما لا يشك عاقل فيه.

ورغبة مني الكتابة في هذا الموضوع ، وتناول هذه الأدلة بالتوضيح والبيان فقد آثرت البحث فيه، وقد اخترت له عنوان: [البعث وأدلته العقلية في القرآن الكريم –دراسة عقدية –].

وتتكون خطة البحث من:

مقدمة، ثم مبحثان ، وخاتمة .

أما المبحث الأول فهو بعنوان: البعث وموقف الناس منه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة البعث، أهميتها، والأدلة عليها من الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: موقف الناس من البعث.

أما المبحث الثاني فهو بعنوان: الأدلة العقلية على البعث في القرآن الكريم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانة الدليل العقلي في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأدلة العقلية على البعث في القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

- موضوع البعث من مسائل العقيدة المرتبطة باليوم الآخر، وهو ركن من أركان الإيمان لا يقبل إيمان العبد إلا به.
- ارتباط موضوع الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله تعالى، وقد جاءت كثير من الآيات في القرآن الكريم مبينة ذلك.
- أهمية الرد على منكري البعث ومناقشتهم، ودحض شبهاتهم.
- ضرورة التدبر والتفكر فيما ضربه الله تعالى للناس من الأمثال في القرآن الكريم.
- بيان منهج أهل السنة في موقفهم من العقل.
- المساهمة بجهد المقل في خدمة الكتاب العزيز من خلال دراسة آياته، وخاصة ما يتعلق منها بأصول الدين.

منهج الباحثة:

١- عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٢- ما كان من الأحاديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما.

٣- عزوت الأقوال إلى مصدرها بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة.

٤- قمت بالتعريف بالأعلام الواردة في البحث.

٥- الدراسة خاصة بالأدلة العقلية على البعث في القرآن الكريم فقط.

وبعد، فإني أسأل الله تعالى أن ينفع به، وهذا جهد المقل فإن أصبت فبتوفيق الله، وأن أخطأت وقصرت فحسبي أني اجتهدت، وما التوفيق إلا من عند الله والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
البعث وموقف الناس منه

المطلب الأول عقيدة البعث أهميتها والأدلة عليها من الكتاب والسنة

تعريف البعث: البعث في اللغة، له معانٍ عدة منها:

- الإرسال، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ [الأعراف:١٠٣].
- الإثارة: وهو أصل البعث، ومنه قيل للناقة بعثتها إذا أثرتها، يقال: بعثت البعير فانبعث إذا حللت عقاله وأرسلته، لو كان باركاً فأثرته.
- البعث من النوم؛ يقال: بعثه من منامه إذا أيقظه.
- البعث: الإحياء من الله تعالى للموتى، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [البقرة:٥٦] بعثناكم أي: أحييناكم(١).

(١) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (٢/٣٣٤)؛ وانظر: الصحاح للجوهري (١/٢٧٣).

فبعث الخلق: اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾[يس:٥٢][١].

البعث في الاصطلاح:

يُطلق ويراد به: إحياء الله تعالى الموتى وإخراجهم من قبورهم، ونحوها، للحساب والجزاء، فالبعث هو: المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة[٢].

ومما يُعبر به عن البعث في القرآن الكريم لفظ: النشور؛ والنشور في اللغة: يأتي بمعنى: البسط، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾[التكوير:١٠].

ويأتي بمعنى: الانتشار، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ٤٧﴾ [الفرقان: ٤٧].

ويأتي ويراد به البعث، يقول تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾[الملك:١٥].

فيقال: أنشر الله تعالى الموتى فنشروا، إذا حيوا[٣].

---

(١) الفروق في اللغة، لأبي هلال الحسن العسكري، ار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م، ص(٢٨٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، (٣٩٥/٥)؛ وانظر أيضاً: شرح العقيدة الطحاوية (٥٨٩/٢)؛ الفتاوى الحديثية لابن حجر، ص١٦٦.

(٣) تهذيب اللغة (٣٢٨/١١).

وفي الاصطلاح: هو انتشار الناس وخروجهم من قبورهم أحياء للحساب والجزاء يوم القيامة، يقول ابن الأثير[١]: "يقال: نشر الميت ينشر نشوراً، إذا عاش بعد الموت، وانشره الله أي: أحياه"[٢].

ومما يُعَبّر به عن البعث أيضاً؛ لفظ: المعاد.

والمعاد لغة: المرجع والمصير، ورجع عَوْداً على بدء[٣].

ويقال للعود والزمان الذي يعود فيه: معاد، وقد يكون للمكان الذي يعود إليه[٤].

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩]، أي: يحييكم بعد موتكم[٥].

---

(١) المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم، مجد الدين أبو السعادات، الكاتب ابن الأثير، ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ، وله من المصنفات: جامع الأصول، غريب الحديث، وغيرها. انظر عنه: سير أعلام النبلاء (٢١/٤٨٩).

(٢) النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (٥/١٢٨).

(٣) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، إشراف محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، (١/٣٠٣).

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص (٥٩٤) .

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٤٠٣).

أما المعاد اصطلاحاً فهو: إحياء الله تعالى الأموات وخروجهم من قبورهم ونحوها إلى حكم يوم القيامة(١).

أي: الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق، إلى الحياة بعد الموت(٢).

أهمية عقيدة البعث:

تحتل مسائل اليوم الآخر، ومن بينها عقيدة البعث أهمية كبرى فاليوم الآخروما يتضمنه من مسائل هو أصل من أصول الدين، وأحد أركانه الستة، وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة، ولذا فإن القرآن الكريم اهتم بإبراز هذه المسألة، وتوضيحها، وبيانها، والرد على منكريها، ويتضح ذلك من خلال ربط مسألة الإيمان بالله تعالى، بالإيمان باليوم الآخر عموماً، يقول تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة:١٧٧]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م، (٣٩٣/١١).

(٢) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، دار المعارف النهائية، باكستان، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، (٢٠٧/٢).

وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[البقرة:٦٢].

ويتضح اهتمام القرآن الكريم بعقيدة البعث من خلال الإكثار من ذكره، فقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في الاستدلال على إثباته، وعلى إمكانه، وقدرة الله تعالى عليه، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾[الحج:٦-٧]. ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم:٢٧]، ويقول سبحانه: ﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤ ﴾ [الأنبياء:١٠٤]

وغيرها الكثير من الآيات القرآنية الدالة على هذه المسألة العظيمة من مسائل العقيدة.

كما أن الرسل عليهم صلوات الله وسلامه قد نبهوا أقوامهم إلى قضية البعث، فعندما أمر الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام بالهبوط إلى الأرض قال له: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴾[الأعراف:٢٥].

وجاء عن نوح عليه الصلاة والسلام قوله لقومه: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾[نوح: ١٧-١٨].

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء:٨١-٨٢].

وعن عيسى عليه الصلاة والسلام جاء: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾[مريم:٣٣].

وعن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[التغابن:٧].

وقد دلت السنة النبوية المطهرة على هذه المسألة المهمة، ومن ذلك:

- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، ثم ينزل الله من السماء ماء

فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى؛ إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة) [١].

- وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري كذلك كان، أم بعد النفخة)[٢].
- وعنه صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: كذنبي ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إيّاي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إيّاي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد)[٣].

يُجْمع المسلمون على وقوع البعث، وأن الله تعالى يبعث من في القبور، فتعاد إليهم أرواحهم.

---

(١) صحيح البخاري، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ، كتاب بدء الوحي (٤٩٣٥)، (٦/٢٠٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي (٤٨١٤)، (٦/١٥٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي (٤٩٧٤)، (٦/٢٢٢).

يقول ابن حجر[١] رحمه الله: "اعلم أن أهل السنة أجمعوا على أن الأجساد تعاد كما كانت في الدنيا بأعيانها، وألوانها، وأعراضها، وأوصافها"[٢].

وذلك بلا خلاف بينهم[٣].وقد أجمع أهل الملل جميعاً على جوازه ووقوعه[٤].

يقول ابن تيمية[٥] رحمه الله تعالى: "ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى"[١].

---

(١) أحمد بن علي بن محمد، شهاب الدين، أبو الفضل، الكناني العسقلاني، ألمصري الشافعي، ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ، كان قاضي الشافعية، أمير المؤمنين في الحديث له من المؤلفات: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحابة، وغيرها. انظر عنه: شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (٣٩٥/٩).

(٢) الفتاوى الحديثية، لابن حجر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ص(١٧).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، ص(٢٢٨).

(٤) المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، (٤٧٤/٣).

(٥) أحمد عبدالحليم بن عبدالسلام النميري الحراني، تقي الدين أبو العباس فقيه، محدث، وعلم من أعلام المسلمين، ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ، له المصنفات الكثيرة ومنها، درء تعارض العقل والنقل، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وغيرها. انظر عنه: كتاب: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزاز، وكتاب: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبدالهادي

المطلب الثاني

موقف الناس من البعث

وتوجب المعتزلة[٢]: إثبات عقيدة البعث بدليل العقل، وتقريره: أنه يجب على الله ثواب المطيعين، وعقاب العاصين، وأعواض المستحقين، ولا يتأتى ذلك إلا بإعادتهم بأعيانهم، فيجب؛ لأن ما لا يتأتى الواجب إلا به واجب، وربما يتمسكون بهذا في وجوب الإعادة على تقرير الفناء، ومبناه على أصلهم الفاسد في الوجوب على الله تعالى[٣]، وفي كون ترك الجزاء ظلماً لا يصح صدوره

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، مكتبة ابن تيمية، ط٢، (٢٨٤/٤). وانظر كتاب: الروح، لابن القيم، ص(٥٢).

(٢) فرقة إسلامية نشأت أواخر العصر الأموي، وتأسست على يد واصل بن عطاء، اشتهرت هذه الفرقة باعتمادهم على العقل في فهم العقائد والقول بالأصول الخمسة وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن مشاهيرهم: القاضي عبدالجبار، أبو الهذيل العلاف، إبراهيم بن يسار النظام، أبو عثمان الجاحظ، أبو الحسن الخياط. انظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، للأشعري، ص(١٢٤)؛ المنية والأمل، لابن المرتضى، ص(٣٢)

(٣) ذهبت المعتزلة إلى القول بوجوب بعض الأفعال على الله تعالى، وعدوا ذلك من أمور العدل، يقول القاضي عبدالجبار: "وأما علوم العدل، فهو أن يعلم أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه، وأنه لا يكذب في خبره، ولا يجور في حكمه". انظر: شرح الأصول الخمسة، ص(١٣٢)، وهذا قول مبتدع

عن الله تعالى... وأنه لا يكفي المعاد الروحاني في ذلك، ويـــدفعون بأن المطيع والعاصي هذه الجملة، أو الأجزاء الأصلية لا الـــروح وحده، فلا يصل الجزاء إلى مستحقه إلا بإعادتها"[١].

والناس في البعث على أقسام أربعة:

أولاً: مذهب المسلمين من الصحابة والتابعين وسلف الأمة رضوان الله عليهم؛ وهو إثبات معاد الأرواح والأبدان معاً.

ثانياً: قول من يثبت معاد الأبدان فقط، وعزاه ابن تيمية إلى الجهمية[٢]، والمعتزلة.

مخالف لصحيح المنقول، وصريح المعقول، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربه، ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية ص(٤٠٩)

(١) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/٢١٢).

(٢) الجهمية، إحدى الفرق الكلامية، التي تنتسب إلى الإسلام وترجع في نسبتها إلى الجهم بن صفوان الترمذي الذي قتله سلم بن أحوز المازني في عصر الدولة الأموية، قامت هذه الفرقة على مبدأ التعطيل، والجبر، فكانت لهم آراء خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله جل وعلا وأسمائه. انظر عنهم كتاب: الرد على الجهمية، ص (١١٦-١١٧)؛ الملل والنحل، ص(٧٣).

ثالثاً: قول من قال بمعاد الأرواح فقط التي هي النفس الناطقة كما يقول المتفلسفة[١].

رابعاً: إنكار المعَادَين جميعاً (الجسماني والروحاني)، كما هو قول الكفار من مشركي العرب، والدهرية[٢].

والدهرية؛ هم الذين أنكروا خلق الله تعالى، وتبعاً لذلك أنكروا البعث والمعاد، وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتُعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع، وأرض تبلغ.

وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَقَالُوٓاْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾[الجاثية:٢٤].

وقولهم: ﴿ نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾له تفسيران:

- أي يموت الآباء ويحيا الأبناء هكذا أبداً، وهو قول طائفة منهم.

---

(١) يقصد بهم: الفلاسفة، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من (فيلو – سوفيا)، بمعنى: محب الحكمة، ومن أهم المدارس الفلسفية: المدرسة الأيونية، والفيثاغورية، والسفسطائية، والرواقية، والإغريقية، وغيرها. ومن رواد المدرسة الإغريقية: سقراط، أفلاطون، أرسطو، ومن الفلاسفة المنتمين للإسلام، الفارابي، ابن سينا، ابن رشد، وغيرهم. انظر: المعجم الفلسفي (١٦٠/٢)؛ موسوعة المورد (٢٤/٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣١٣/٤) وما بعدها.

- والثاني: أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبداً، ولا حساب ولا جزاء، بل ولا مُوجد ولا مُعدِم ولا مُحاسب ولا مُجازي، وهذا قول طائفة منهم يقال لهم الدورية(١).

فهم القائلون؛ لا دين ولا رب ولا رسول ولا كتاب ولا معاد ولا جزاء بخير ولا بشر، ولا ابتداء لشيء ولا انقضاء ولا حدوث ولا عطب(٢).

أما المشركون فهم مُقرون بالبداءة، وبخلق الله تعالى لهم، يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﷺ [الزخرف:٨٧]، لكنهم أنكروا البعث والمعاد، يقول تعالى حاكياً عنهم ذلك: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ [الدخان:٣٥].

فهم أقروا بخلق الله تعالى لهم؛ لكنهم أنكروا المعاد، وقد جاء الحديث بذكرهم: (وأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته)(٣).

---

(١) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ الحكمي، تحقيق عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام ط١، ١٤١٠هـ/ ١١٢٠م، (٧٧٦/٢).

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (٥٨/١).

(٣) تقدم تخريجه ص(١١).

ومن شبهاتهم؛ استبعادهم ذلك، فهم يرون أن العظام إذا بليت وصارت رفاتاً، واختلطت بالأرض، كيف يمكن تصور إعادتها وبعثها مرة أخرى، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩].

وقال أيضاً: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [ق:٣] ، ويقول عنهم أيضاً: ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ﴾[المؤمنون: ٣٥].

ومما يرد من شبهاتهم أيضاً: عدم رؤيتهم أحداً مات فعاد للحياة مرة أخرى، ولذلك كانت تلك حجتهم على صدق الرسل، فقالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[الدخان: ٣٥-٣٦] فهذه بعض شبهات المشركين الذين أنكروا البعث، وجادلوا في مسألة وقوعه أو إمكانه.

المبحث الثاني

الأدلة العقلية على البعث

في القرآن الكريم

المطلب الأول

مكانة الدليل العقلي في القرآن الكريم

الدليل لغة:

الدليل: ما يُستدل به، والدليل: الدَّال...
والجمع: أدلة، وأدلاَّء[١].
والدليل هو: المرشد وما به الإرشاد[٢].

وفي الاصطلاح:

هو المرشد إلى معرفة الغائب عن الحواس، وما لا يُعرف باضطرار، وهو الذي يُنْصَب من الأمارات ويورد من الإشارات ما يمكن التوصل به إلى معرفة ما غاب عن الضرورة والحس[٣].

وينقسم الدليل إلى ما يدل بنفسه، وما يدل بدلالة الدَّال به، يقول ابن تيمية: "والأدلة التي تدل بنفسها قد تسمى الأدلة العقلية، وما يدل بدلالة الدال به، يسمى الأدلة الوضعية لكونها إنما دلت بوضع واضع"[٤].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت (٢٤٧/١١).

(٢) التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق الأبياري، دار الكتاب العربي، ص(٥٥).

(٣) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص(٣٣).

(٤) النبوات، لابن تيمية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص(٢٩١).

وتُقسم الأدلة الشرعية إلى: أدلة نقلية، وأدلة عقلية، والمقصود بالنقل: ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

أما العقل لغة فهو: الحجر والنهى، ضد الحمق، والجمع: عقول(١).

ويطلق العقل على قوة الحجة، فيقال: عاقلته، فعقلته، أعقله، أي: غلبته بالعقل(٢).

وعَقَل الشيء يعقله عقلاً: فهمه(٣).

العقل اصطلاحاً: هو ما يُعْقل به حقائق الأشياء(٤).

ويُطلق العقل على عدة مسميات بحسب استعماله فهو:-

- الغريزة المدركة، وهي ما يتميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات، يقول ابن تيمية: "وقد يراد بالعقل الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم، ويميز، ويقصد المنافع دون المضار"(٥).

---

(١) لسان العرب (٤٥٨/١١).

(٢) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (١٧٧١/٥).

(٣) لسان العرب (٤٥٨/١١).

(٤) التعريفات، للجرجاني، ص (٦٥).

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨٧/٩).

- إدراك المعارف الفطرية، والعلوم الضرورية التي يشترك فيها جميع العقلاء.
- العمل بمقتضى العلم، لأن العمل هو مقتضى فهم الخطاب والعلم به، يقول ابن تيمية: "والعقل في لغة العرب عَرَضٌ هو علم، أو عمل بالعلم، وغريزة تقتضي ذلك"(١).

مكانة الأدلة العقلية:

وللأدلة العقلية في القرآن الكريم منزلة عظيمة، فالخطاب القرآني يدعو الناس إلى التفكر في الكون كله، بما فيه من سماوات وأرض، ونجوم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[آل عمران:١٩٠].

وقد دعا القرآن الكريم إلى استعمال العقل، وذلك بالنظر والتفكر والتدبر، قال تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾[طه:٥٤]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٢٤٢]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الروم:٢٨].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م، (٣٠٢/١٠).

فمن لم يستخدم عقله يكون قد ساوى الأنعام التي لا تعقل قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢].

والعقل في الإسلام دليل على صحة النقل، يقول ابن تيمية: "والعقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة"(١).

فالعقل الصريح موافق للنقل الصحيح، ولا ينفك أحدهما عن صاحبه، يقول ابن القيم(٢): "فجمع الله سبحانه بين السمع والعقل وأقام بها حجته على عباده، فلا ينفك أحدهما عن صاحبه أصلاً ، فالكتاب المنزل والعقل المدرك حجة الله على خلقه، وكتابه هو الحجة العظمى، فهو الذي عرَّفنا ما لم يكن لعقولنا سبيل إلى استقلالها بإدراكه أبداً"(٣).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/١٣٨).

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن حريز الزرعي، الدمشقي، الحنبلي شمس الدين أبو عبدالله بن قيم الجوزية، الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ، له من المؤلفات: زاد المعاد في هدي خير العباد، إعلام الموقعين عن رب العالمين، بدائع الفوائد، وغيرها. انظر عنه: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٥/١٧٠).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام ابن القيم، تحقيق د. علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، (٤/٤٥٨).

والكتاب العزيز مملوء بالأدلة العقلية الدالة على مسائل الاعتقاد المختلفة، يقول ابن تيمية: "السمع فيه من بيان الأدلة العقلية على إثبات الصانع، ودلائل ربوبيته وقدرته، وبيان آيات الرسول ودلائل صدقه أضعاف ما يوجد في كلام النظار"(١).

وقد استوعبت هذه الأدلة مسائل التوحيد، والصفات، وإثبات النبوة والرسالة، وإثبات المعاد وحشر الأجساد وهذه الأدلة العقلية الصحيحة قد دل القرآن الكريم ونبَّه عليها(٢).

يقول ابن تيمية: "ما عليه سلف الأمة، أهل العلم والإيمان، من أن الله سبحانه وتعالى بيَّن من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء قدْرَه، ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه..."(٣).

والكتاب والسنة يدل بالإخبار تارة، ويدل بالتنبيه تارة، والإرشاد والبيان للأدلة العقلية تارة، وخلاصة ما عند أرباب النظر العقلي في الإلهيات من الأدلة اليقينية، والمعارف الإلهية قد جاء به

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩٣/١).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١٩٩/١).

(٣) المصدر السابق (٢٨/٢).

الكتاب والسنة، مع زيادات وتكميلات لم يهتد إليها إلا من هداه الله بخطابه..."[١].

وهذه الأدلة العقلية الشرعية من أتم الأدلة؛ لأنها أدلة عقلية باعتبار أن العقل يعلم صحتها إذا نُبِّه عليها، وهي شرعية باعتبار أن الشرع دل عليها وهدى إليها، فعلى هذا التقدير تكون الدلائل حينئذ شرعية عقلية[٢].

مما سبق بيانه تتضح أهمية الأدلة العقلية النقلية، ومكانتها في العقيدة الإسلامية.

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لأبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم. نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، (٢/١١٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٧)؛ وانظر أيضاً: مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/٧١).

المطلب الثاني

الأدلة العقلية على البعث

في القرآن الكريم

إن البراهين التي ذُكِرتْ في القرآن الكريم للدلالة على البعث جاءت مقررة لأمور ثلاثة:-

- كمال علم الله تعالى.
- كمال قدرته سبحانه.
- وكمال حكمته جل شأنه[١].

والأدلة العقلية النقلية المبثوثة في كتاب الله عز وجل على البعث تندرج تحت ثلاثة أنواع من الاستدلال العقلي هي:-

- تارة بعلمه بوجود الشيء، أي الاستدلال العقلي على البعث بوجوده في الواقع.
- وتارة بعلمه بوجود نظيره، أي الاستدلال العقلي على البعث بالعلم بوجود نظيره في الواقع.
- وتارة بعلمه بوجود ما الشيء أولى بالوجود منه، أي الاستدلال العقلي بما يكون البعث أولى بالوجود منه[٢].

(١) انظر: الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار النفائس، ص (١٤).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨٦/٣).

أولاً: الاستدلال العقلي على إمكان البعث بوجوده في الواقع:

وهو الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله تعالى ثم أحياهم وهذا الدليل يعتمد على الوجود والعيان، فإنه سبحانه دلَّ على إمكانية إحياء الموتى، وقدرته على ذلك بطريق الوجود والعيان، وبطريق الاعتبار والبرهان، والأول أعظم الطريقين فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده"(١).

وقد وردت أمثلة على ذلك في القرآن الكريم تبين ما وقع من البعث المشاهد في هذه الحياة، حتى يكون إحياء الله تعالى للموتى في الدنيا دليل على البعث في يوم القيامة.

ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:٥٥-٥٦].

تخبر الآيات أن هؤلاء هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام فساروا معه، فسمعوا كلاماً، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، فسمعوا صوتاً فصعقوا، يقول: ماتوا، قال الشعبي: فأخذتكم الصاعقة، فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله،

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/٣٧٥).

ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم... فأوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل، ثم إن الله سبحانه أحياهم، فقاموا وعاشوا رجل رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون(١).

يقول القرطبي(٢): "﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ أي: أحييناكم، قال قتادة: ماتوا وذهبت أرواحهم ثم ودوا لاستيفاء آجالهم. وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش، واحتجاج على أهل الكتاب إذ خُبِّروا بهذا، والمعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ما فعل بكم من البعث بعد الموت"(٣).

فهذا دليل عقلي؛ لأنه تعالى بيَّن أنه أحيا هذه الأشياء بعد موتها في المرة الأولى، فوجب أن يصح ذلك في المرة الثانية(٤).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٠٣/١).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، أبو عبدالله شمس الدين القرطبي، ولد سنة ٦٠٠هـ وتوفي سنة ٦٧١هـ، من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن في التفسير، والتذكرة، وغيرها. انظر عنه: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص(٧٩)؛ الأعلام، للزركلي (٢١٧/٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م،(٤٠٤/١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، (٣٧٨/٢).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة: ٧٢-٧٣].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾أي: فضربوه، فحيي، ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل جعل الله تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد(١).

يقول القنوجي(٢) رحمه الله: " ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ أي: كمثل هذا الإحياء يوم القيامة، فلا فرق بينهما في الجواز والإمكان، والغرض من هذا؛ الرد عليهم في إنكار البعث، وهذا يقتضي أن يكون الخطاب مع العرب لا مع اليهود لأنهم يقرون بالبعث والجزاء"(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٧).

(٢) محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب، ولد بالهند سنة ١٢٤٨هـ، وتوفي سنة ١٣٠٧هـ، من علماء الهند الأعلام المشهورين، له من المصنفات: أبجد العلوم، الطريقة المثلى ، وغيرها. انظر عنه: تراجم علماء أهل الحديث في الهند للنوشهروي (١/٢٦٥).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق القنوجي، قدم له: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، (١/٢٠٠).

فهذا احتجاج منه تعالى على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناءه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا فقال لهم تعالى ذكره: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا، فكذلك أُحي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث(١).

٣- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وهؤلاء من بني إسرائيل، وقع فيهم الوباء ففروا هاربين، خرجوا فراراً من الطاعون، وقالوا: نأتي أرضاً ليس بها موت، فأماتهم الله تعالى فمر بهم نبي فدعا الله فأحياهم...

وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبدالله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، (١٢٨/٢)؛ وانظر: تفسير القاسمي: محاسن التأويل (٣٢٨/١).

أي: فيما يريهم من الآيات الباهرة، والحجج القاطعة، والدلالات الدامغة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم(١).

٤- قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩].

وقد قيل: إن الذي مر على القرية هو: عزير، وقيل إرميا، وأن القرية هي بيت المقدس، بعد تخريب "بختنصر" لها(٢).

يقول الطبري(١): "ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان عن اسم قائل ذلك، وجائز أن يكون ذلك عزيراً، وجائز

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦٦١/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٨١/٤)، وانظر أيضاً: تفسير ابن كثير (٦٨٨/١)، تفسير الرازي مفاتيح الغيب (٢٩/٧).

أن يكون إرميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم وأنه الذي بيده الحياة والموت، من قريش ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب"(٢).

فكانت هذه القصة دليلاً على قدرة الله وبعثه الأموات من قبورهم، لتكون أنموذجاً محسوساً مشاهداً بالأبصار، فيعلموا بذلك صحة ما أخبرت به الرسل(٣).

٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٠].

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، الإمام المفسر، الفقيه، المؤرخ، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ، له من المصنفات: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تاريخ الأمم والملوك، وغيرها. انظر عنه: الوافي بالوفيات (٢/٢١٢) .

(٢) تفسير الطبري (٤/٥٨١-٥٨٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص (١١٢).

يقول الطبري: "عن قتادة قال: أمر نبي الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن، ثم يخلط بين لحومهن وريشهن، ودمائهن، ثم يجزئهن على أربعة أجبل، فذكر لنا أنه شكل على أجنحتهن وأمسك بروسهن بيده، فجعل العظم يذهب إلى العظم والريشة إلى الريشة والبضعة إلى البضعة، وبعين خليل الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم ثم دعاهن فأتينه سعياً على أرجلهن، ويلقى كل طير برأسه، وهذا مثل أراه الله إبراهيم، يقول: كما بعث هذه الأطيار من هذه الأجبل الأربعة، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها"(١).

وهذا فيه أعظم دلالة حسية على قدرة الله وإحيائه الموتى للبعث والجزاء"(٢).

٦- يقول تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩].

بُعث عيسى عليه الصلاة والسلام في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه؛ إلا أن يكون

(١) تفسير الطبري (٤/٦٤٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص (١١٢).

مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو من في قبره رهين إلى يوم التناد[١].

وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله، يدعو لهم، فيستجيب له[٢]، وقد كان هذا مثالاً محسوساً مشاهداً على قدرة الله تعالى في الإحياء بعد الإماتة.

٧- يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف: ٩-١٠].

ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة، وكان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك[٣].

فهذا دليل على قدرة الرب جل وعلا، على البعث، وفي القصة أيضاً إعلام الناس أن البعث حق، وأن الساعة حق، لدلالة

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٥).

(٢) تفسير الطبري (٥/٤٢٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/١٤٦).

قصة أصحاب الكهف على ذلك، وذلك في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١][١].

يقول ابن تيمية: "فهذه القصص في إحياء الآدميين، وقصة في إحياء البهائم، وقصة في إبقاء الطعام والشراب، وقصة في إحياء الطير... فهذه القصص فيها من الإخبار بالموجود ما هو أعظم الدلائل على القدرة والإمكان لإحياء الله تعالى وصدق هذه الأخبار يُعلم بما يُعلم به صدق الرسول، ويُعلم بأخبار أخرى من غير طريق الرسول، وإخباره بها من أعلام نبوته"[٢].

ثانياً: الاستدلال العقلي على البعث بما يكون البعث أهون منه:

وهذا الاستدلال يستند على القياس بطريق الأولى، فإنه سبحانه وتعالى يستدل على البعث بالنشأة الأولى، وأن قدرته عز وجل على الإعادة كقدرته سبحانه على الابتداء وأَوْلى، وتارة يبين ذلك بقدرته على خلق السموات والأرض[٣].

أ- الاستدلال بالنشأة الأولى على الإعادة:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، (٢٠٩/٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٣٧٧/٧).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٧٨/٧).

استدل القرآن الكريم على إمكان الإعادة بالنشأة الأولى، فإن الذين يطلبون دليلاً على البعث بعد الموت يغفلون عن أن خلقهم على هذا النحو أعظم دليل، فالقادر على خلقهم، قادرٌ على إعادة خلقهم(١).

والأدلة في القرآن الكريم على هذا النوع كثيرة، ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٦-٦٧].

يقول الطبري: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت: أخرج حياً، فأبعث بعد الممات وبعد البلا والفناء إنكاراً منه ذلك، يقول الله تعالى ذكره: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

المتعجب من ذلك، المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشراً سوياً من غير شيء ﴿وَلَمْ يَكُ﴾ من قبل إنشائه إياه ﴿شَيْـًٔا﴾

(١) انظر: القيامة الكبرى، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٦، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص(٧٦)؛ وانظر أيضاً: أضواء البيان للشنقيطي (١٨٤/٧).

فيعتبر ذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته وإيجاده بعد فنائه" [١].

فهو سبحانه يستدل بالبداءة على الإعادة، وقد خلق الإنسان ولم يك شيئاً، أفلا يعيده وقد صار شيئاً[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

فلم يفكر في ﴿خَلْقَهُۥ﴾ فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشراً سوياً ناطقاً متصرفاً، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء، والعظام الرميم بشراً كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ﴾ لهذا المشرك القائل لك: من يحيي العظام وهي رميم ﴿ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يقول: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة، ولم تكن شيئاً، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبدئ، وكيف يعيد، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٥٨٦/١٥).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢٥١/٥).

(٣) انظر تفسير الطبري (٤٨٨/١٩).

٣- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

يقول الطبري: "عن مجاهد قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ قال: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هين، ... وعن عكرمة قرأ هذا الحرف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ قال: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق"(١).

٤- قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:١٥].

يقول الطبري: "وهذا تقريع من الله لمشركي قريش الذين قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ يقول لهم جل ثناءه: أفعيينا بابتداع الخلق الأول الذي خلقناه، ولم يكن شيئاً فنعيا بإعادتهم خلقاً جديداً بعد بلائهم في التراب وبعد فنائهم؛ يقول: ليس يعيينا ذلك، بل

(١) تفسير الطبري (٤٨٦/١٨)؛ وانظر تفسير ابن كثير (٣٠٨/٤).

نحن عليه قادرون"[١]، فابتداء الخلق لم يعجزه سبحانه، والإعادة أسهل منه[٢].

ووجه كون الإعادة أهون من الابتداء: هو أن الإعادة مبنية على الإبداء؛ لأن المعاد له أصل في الوجود والحياة، والإبداء ليس مبنياً إلا على مجرد القدرة الباهرة لا على سبب سابق[٣].

٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١].

يقول الطبري: " وقوله ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ قالوا: إنكاراً منهم للبعث بعد الموت: إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاماً غير متحطمة، وقد بلينا فصرنا فيها تراباً؛ خلقاً منشأ كما كنا قبل الممات جديداً، نعاد كما بُدئنا؟

---

(١) تفسير الطبري (٤١٩/٢١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩٧/٧).

(٣) شرح مختصر الروضة، نجم الدين الطوفي الصرصري الحنبلي، تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٧هـ/١٩٨٧م، (٢٥٣/٣).

فأجابهم جل جلاله يعرفهم قدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم وإنشائه لهم كما كانوا قبل بلاهم خلقاً جديداً، على أي حال كانوا من الأحوال، عظاماً، أو رفاتاً، أو حجارة أو حديداً، أو غير ذلك مما يعظم عندهم أن يحدث مثله خلقاً أمثالهم أحياء، قل يا محمد: كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم..."(١).

فتأمل ما أُجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل فإنهم قالوا أولاً: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾، فقيل لهم في جواب هذا السؤال: إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم، فهلا كنتم خلقاً لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟ فإن قلتم: كنا خلقاً على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقاً جديداً(٢).

وبعد؛ فهذه أمثلة شرعية لهذا النوع من الاستدلال العقلي على البعث، فمن كان قادراً على الخلق ابتداءً؛ فهو من باب أولى قادرٌ على الإعادة، وهو أهون عليه، ولو اجتمع كل الخلائق على

---

(١) تفسير الطبري (١٤/٦١٥).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق شعيب الأرنؤوط- عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، (٢/٥٩٦٣).

إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار، لما قدروا عليها، إذ لاشك أن الإعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولاً[١].

ب- الاستدلال بخلق السموات والأرض:

ومما يرد في القرآن الكريم من حجج عقلية على منكر البعث؛ الاستدلال بما هو أعظم من خلق الإنسان مثل السموات والأرض فخلقهما أهون عليه سبحانه من إعادة الإنسان مرة أخرى، وهذا من طريق قياس الأولى.

وهذا الاستدلال من أعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر، لا شك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر[٢].

ومن أمثلة هذا الاستدلال العقلي في القرآن الكريم:-

١- قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾[الإسراء: ٩٨-٩٩].

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٤١/٢١).

(٢) أضواء البيان (١٨٣/٧).

٢- قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[يس: ٨١].

٣- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

يقول الطبري: "أو ليس الذي خلق السموات السبع والأرض بقادر على أن يخلق مثلكم، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض.. فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت؟"(١).

فهو سبحانه وتعالى ينبههم على قدرته على ذلك، بأنه خلق السموات والأرض؛ فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك(٢).

ومن المسلَّم به في بداهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من بعث الناس وإعادة خلقهم، يقول ابن تيمية: "ومن المستقر في بداءة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق الآدميين فإذا كان فيها من الدلالة على علم خالقها وقدرته وحكمته

(١) تفسير الطبري (١٩/٤٩٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/١٢٣).

ما بهر العقل، أفلا يكون ذلك دالاً على أنه قادر على إحياء الموتى، لا يعي بذلك كما لم يعي بالأول بطريق الأولى والأخرى"[١].

وهذا الاستدلال من باب قياس التنبيه، يقول الطوفي[٢]: "فهذا قياس لإحياء الموتى على خلق السموات والأرض بجامع عظمة الفعلين في العقول أو إمكانهما في المعقول، وهذا الطريق... من باب قياس التنبيه، وهو أن يكون الحكم في الفرع أجلى وأظهر منه في الأصل"[٣].

ثالثاً: الاستدلال العقلي على البعث بوجود نظيره في الواقع:

جاء الاستدلال العقلي على البعث بأدلة عامة لكل أحد، وهي دلائل حسية قاطعة لا يمكن الشك فيها، وهو طريق الاعتبار والقياس [٤].

وجاءت الأدلة تحت هذا النوع على النحو التالي:

أ- الاستدلال العقلي بإحياء الأرض بعد موتها [١]:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣٨١/٧).

(٢) سليمان بن عبدالقوي عبدالكريم الطوفي، الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، فقيه حنبلي، ولد سنة ٦٥٧هـ، وتوفي سنة ٧١٦هـ، له من المصنفات: بغية السائل في أمهات المسائل، الذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة، وغيرها. انظر عنه: الدرر الكامنة (٢٩٥/٢)؛ الوافي بالوفيات (٤٣/١٩).

(٣) شرح مختصر الروضة (٢٥٤/٣).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٣٨٧/٧).

فمن الأدلة العقلية التي ساقها القرآن الكريم للاحتجاج على منكري البعث قياس إحياء الأرض بعد موتها بالمطر وهذا نظير إحياء الموتى، وبعثهم وإخراجهم من قبورهم ومن الأمثلة على ذلك:-

١- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[فاطر: ٩].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ﴾[فصلت: ٣٩].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾[الزخرف: ١١].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف: ٥٧].

---

(١) انظر شرح مختصر الروضة للطوفي (٣/٢٥٥).

٥- وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[ق:٩-١١].

هذه الآيات السابقة استدل بها القرآن الكريم على مسألة البعث فإن الأرض المجدبة تحيا وتربو بعد نزول المطر، وتخرج من النباتات المختلفة، وقياس على ذلك إخراج الموتى وبعثهم من قبورهم يخرجون كما تخرج هذه النباتات من الأرض الميتة، والقادر على هذا سبحانه قادر على البعث من باب أولى.

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الأصنام المكذبين بالبعث بعد الممات، المنكرين للثواب والعقاب، ضربت لكم أيها القوم هذا المثل الذي ذكرت لكم من إحياء البلد الميت بقطر المطر الذي يأتي به السحاب، الذي تنشره الرياح... لتعتبروا فتتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته فيسير في إحياء الموتى بعد فنائها وإعادتها خلقاً سوياً بعد دروسها"(١).

(١) تفسير الطبري (١٠/٢٥٥).

وهذه الآيات فيها إثبات للقياس في أدلة التوحيد والمعاد،... وفيها أن حكم الشيء حكم نظيره، وأنه سبحانه إذا كان قادراً على شيء فكيف تعجز قدرته على نظيره ومثله(١).

ب- الاستدلال العقلي على البعث بحصول اليقظة بعد النوم:

١- وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٦٠].

٢- وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الزمر:٤٢].

وفي هذه الآيات استدلال بحصول اليقظة بعد النوم على جواز الحشر والنشر، فإن النوم أخو الموت، واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ ذكر عقيبة أمر الموت والبعث، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٣/٥٩٤).

عِبَادِهِۦ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾[الأنعام: ٦١].

وقال في آية أخرى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾، والمراد منه الاستدلال بحصول هذه الأحوال على صحة البعث والنشر(١).

ج- الاستدلال العقلي على البعث بإخراج النار من الشجر الأخضر:

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[يس: ٨٠-٨١].

يقول الطبري: "الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر ناراً تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت، وإعادتها بشراً سوياً، وخلقاً جديداً، كما بدأها أول مرة" (٢).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (١٨/١٧).

(٢) تفسير الطبري (٤٨٩/١٩)، وانظر تفسير ابن كثير (٥٩٥/٦).

يقول الرازي[١]: "الإنسان مشتمل على جسم يحس به، وحياة سارية فيه، وهي كحرارة جارية فيه. فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه، فلا تستبعدوه، فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب، وإن استبعدتم خلق جسمه، فخلق السموات والأرض أكبر من خلق أنفسكم، فلا تستبعدوه، فإن الله خلق السموات والأرض، ووجه الاستدلال... أن من قدر على إيداع النار في الشجر الأخضر، لا يعجز عن إيداع الحرارة الغريزية في بدن الميت..." [٢].

- ومن الأدلة العقلية على البعث، الآيات التي جاءت في الكتاب العزيز لتأكيد مقتضى حكمة الله تعالى من البعث وأنه سبحانه وتعالى لم يخلق الخلق عبثاً أو أن يتركهم سدى، يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ

(١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، الرازي، أبو عبدالله التيمي، القرشي الشافعي الأشعري، فخر الدين، إمام مفسر، فقيه أصولي، ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ على الأرجح، له من المصنفات الكثير ومنها: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، المطالب العالية، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، وغيرها. انظر عنه: طبقات الشافعية الكبرى (٨/٨١).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٦/٩٦).

ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم لعباً وباطلاً، وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون"(١)..

فمن مقتضى حكمة الله تعالى أن يبعثهم ليجزيهم على أعمالهم.

- ويقول تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة:٣٦] يعني: لا يبعث، وقيل: لا يؤمر ولا يُنهى، والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يُؤمر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سدى لا يُبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد(٢).

(١) تفسير الطبري (١٣٢/١٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٨٣/٨).

الخـاتـمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعـــد:

كان هذا البحث بعنوان: [البعث وأدلته العقلية في القرآن الكريم –دراسة عقدية–].

وقد تناولت فيه الباحثة تعريف العقل، والبعث، وبيان أهمية عقيدة البعث والأدلة عليها من الكتاب والسنة.

وأشارت الباحثة إلى مكانة الدليل العقلي في القرآن الكريم والاستدلال به عند أهل السنة على مسائل العقيدة عموماً.

ثم فصلت الباحثة طرق الاستدلال العقلي في القرآن الكريم على موضوع البعث في اليوم الآخر.

وتناولت الباحثة أهم الأدلة العقلية على مسائل البعث في القرآن الكريم، وأقوال العلماء المفسرين لها.

فكانت هذه الاستدلالات جواباً للمنكرين والمشككين في موضوع البعث، فقد ردَّت شبه المنكرين المعاندين بإقامة الأدلة العقلية إما بما قد وقع من إحياء للأموات، أو بما هو أهون عليه وهو إعادة الخلق بعد إنشائهم، وبما هو أعظم كخلق السموات

والأرض، أو بما هو نظير البعث كإحياء الأرض بالزرع والنبات بعد نزول المطر.

كما بيَّن البحث أيضاً؛ الحكمة من البعث، وأن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً أو أن يتركهم سدى، فالغاية من الخلق هو عبادته سبحانه وطاعته باتباع أوامره واجتناب نواهيه ومجازاتهم ومحاسبتهم، بعد بعثهم يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس المصادر والمراجع

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب.

٣- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي بكر القرطبي.

٤- التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي.

٥- تفسير القرآن الكريم، لابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٠- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١١- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود- الإسلامية- السعودية، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية.

١٣- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٤- شرح مختصر الروضة، نجم الدين الطوفي الصرصري الحنبلي، تحقيق: عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٥- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٦- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٧- صحيح البخاري، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

١٨- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق: د علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض.

١٩- الفتاوى الحديثية، لابن حجر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.

٢١- فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق القنوجي، قدم له: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٢- الفروق في اللغة، لأبي هلال الحسن العسكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

٢٣- الفوائد، لابن القيم، دار النفائس، الأردن.

٢٤- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، إشراف محمد نعيم قسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٥- القيامة الكبرى، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٦، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٦- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.

٢٧- مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، مكتبة ابن تيمية، ط٢.

٢٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ الحكمي، تحقيق: عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٩- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣٠- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣١- منهاج السنة النبوية، في نقض كلام الشيعـــة القدرية، لابن تيمية، تحقيـــق: د. محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـــ.

٣٢- المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٣٣- النبوات، لابن تيمية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م.

٣٤- النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـــ/١٩٧٩م.